الركـــوب مع الموت

السيارات المكشوفة.. استخدام في غير محله

تحقيق /سعيد الجعفري

■ جاءت الحادثة المروعة على خط تعز- الحديدة في منطقة الهاملي لتعيد التذكير بخطر داهم يتهدد المسافرين عبر وسائل مواصلات غير مخصصة أصلاً لنقل الأشخاص ومهمتها الرئيسية نقل البضائع الخفيفة أو المواشي..

لكن أصحاب السيارات المكشوفة حولوا هذه السيارات من مهامها الأصلية واستخدامها لنقل المسافرين عبر المحافظات وداخل المدن دون حتى التفكير في ما قد تخلفه من مخاطر تتربص بحياة أشخاص قادهم الجهل للاندفاع نحوها بمبررات تفتقد للغة المنطق في ظاهرة ابقت الباب مفتوحاً أمام توسعها يوماً بعد آخر.. وفي الحادثة التي خلفت ١٥ من الضحايا بينهم طفلة وامرأة في منطقة الهاملي الواقعة على خط تعز-الحديدة ارتفع الصوت الأسيف من قبل المعنيين في مرور محافظة تعز على ما خلفته الظاهرة من كارثة وضحايا، مضيفاً الرقم لعدد ضحايا الحوادث المرورية التي عادة ما تدون أسبابها تحت بند السرعة الزائدة وعدم تفقد المركبة..

تساؤلات قلقة

● تمضي سيارات الهيلوكس المكتظة بعدد كبير من الركاب بعضهم فوق بعض لقطع مئات الكيلومترات على الخطوط السريعة بين المحافظات في سباق وصراع مع الريح التي تكاد تقتلع الركاب من أماكنهم.. في مشهد غريب لا يوجد ما يبرره واصرار واضح من قبل السائقين والركاب على خوض غمار المجازفة والسير في رحلة الموت عبر طرق جبلية ملتوية أو سهلية بأطوال ممتدة حتى أبعاد كبيرة وانبعاث صوت مخيف نتيجة التصادم مع الرياح الشديدة والسيارات القادمة من الاتجاه الآخر، لعله صوت الموت الذي يتربص بأفراد الرحلة.

أن مجرد تخيل حادث مروري من هذا النوع أمر مريع جداً... ترى لماذا يفضل البعض ركوب الأخطار في لحظة استعجال الوصول؟ صحيح أنه ليس هناك من يستطيع الافلات منه عندما تحين ساعة الأجل، ولكن علينا العمل بالأسباب ما استطعنا.. يقول الله سبحانه وتعالى:« ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة».

● أنور حميد يعمل في ورشة حدادة بصنعاء وكل بضعة أشهر يأخذ إجازة للعودة إلى القرية ردد تلك الصور معنا ووقف أمام تلك المشاهد ووجدناه أيضاً يتساءل عن سبب مجازفة البعض وقال: اعتقد أن الصورة السائدة في مخيلة جميع المسافرين هي لحظة الوصول إلى الأهل وفرحتهم بنا واشتياقنا لهم، ربما لا تخلو هذه المشاعر من أحد من المسافرين.. لكن أين تغيب هذه المشاعر لدى أشخاص يختارون رفقة الموت ويواجهون المخاطر المحتملة بصورة أكبر مع هذه السيارات.

دوافع غير منطقية

● تبدو الدوافع والمبررات غير منطقية حول تدافع كثيرين نحو هذه الوسيلة الخطرة.

- اعتاد خليل سعيد العزوبي -جندي في القوات المسلحة- عند السفر إلى القرية الابتعاد عن الفرزة لبضعة أمتار باتجاه سيارات تطلق على نفسها شعار «على الماشي» وعادة ما تكون من نوعية الهيلوكس ، يبرر خليل ذلك بفارق السعر ،فالوصول من صنعاء إلى تعز يحتاج إلى (٧٠٠) ريال بينما لا تكلفه أجرة المواصلات للهيلوكس أكثر من (٤٠٠) ريال على أكثر تقدير -حد قوله- وأنها غالباً لا تتوقف كثيراً بحيث تختصر الزمن في الوصول عن ما سواها من الوسائل الأخرى.

لا يكترث خليل بحجم المخاطر المحدقة به أثناء السفر ازاء الركوب بهذه السيارات ويقابل محاولة اقناعه بعدم المبالاة والاهتمام ويقول: الموت قضاء وقدر وما هو مكتوب عليه سوف يجده حتماً، إلا أنه يشكو من غياب وسائل الراحة في تلك الحالة والوضعية التي يبقى عليها الركاب طيلة فترة الطريق- يقول- «ما نصل تعز الا بشق النفس وتكون حالتنا حالة نحتاج خلالها للتدليك يومين متتاليين».

● حين تغدو المجازفة في نظر قلة مسألة طبيعية فإن آخرين يتمسكون بالحيطة والحذر عند اختيار وسيلة الركوب مدركين حجم المخاطر المحيطة بهؤلاء الأشخاص.

مطهر سعيد حسن- صاحب محل تجاري في شارع الرقاص يقول: على طول طريق السفر يغلب على حديث الركاب الحوادث المرورية المتكررة ولا تخلو الطريق من احداها في أمر يثير حماسهم ويفتح شهيتهم في مواصلة الحديث.

مطهر يقول: أيضاً بأنه اعتاد في طريق سفره على خط صنعاء- تعز مشاهدة الكثير من الحوادث، وقال أن العديد من الحوادث التي شاهدها كانت لسيارات الهيلوكس.

مضيفاً: في الغالب أنها تخلف ضحايا وإصابات خطره أكثر من غيرها من أنواع السيارات الأخرى.

الواقع المأساوي

● الاحصائيات لدى المرور تدون اغلب الحوادث للحمولة وعدم تفاقد المركبات والسرعة الزائدة.. لكن لغة الواقع اشد تأثيراً من الاحصائيات.

إذ لا يزال توفيق أحمد منصور يدفع ثمن الركوب في إحدى هذه السيارات قبل عشرين عاماً منذ خرج للنزهة مع أسرته إلى القرية. كان يركب إلى جوار أخيه الأكبر في صندوق السيارة وفجأة سقط ولم يصح من غيبوبته إلا في المستشفى بعد أن تعرض للكسر في إحدى رجليه إلى جانب خدش في رأسه ربما لم تعد حينها اصابته بالخطرة، لكن خطورة الحادث أصبحت حقيقية يومية يعيش مخاوفها ومن الممكن أن تداهمه في أي لحظة حيث ادت مضاعفات الحادث إلى الإصابة العصبية التي تظهر على شكل نوبات عصبية مفاجئة يتغير خلالها وضعه إلى تشنجات مخيفة ويفقد وعيه ويشعر بالحالة الخطرة التي تداهمه فجأة، ومعها يصبح عرضة للخطر في أي لحظة في السقوط من أي مكان أمام ظهور أعراض الحالة في تشنجات تسقطه الأرض وتستدعي تواجد آخرين إلى جواره للامساك به. إنها حالة محزنة ومخيفة في نفس الوقت.

الآن أصبح توفيق يعي حجم الخطورة الناجمة عن هذا الاستخدام الذي يتنافى مع أبسط قواعد السلامة والحيطة والحذر التي ينبغي الأخذ بها عند اختيار وسيلة ونوع الركوب. وقد لا يكون هناك خطر محتمل أكثر من ما وقع فيه لكنه يبدو أكثر تخوفاً من الاقدام على مثل هذه المجازفة، هكذا يصف هذا النوع من الركوب.. ويقول: يكفي أن تقرأ مشاعر الخوف في عيون والدتي التي مع صباح كل يوم تظل تعد الدقائق في انتظار عودتي من المدرسة التي أعمل بها خشية أن تكون الحالة قد داهمتني فجأة في طريق الذهاب إلى المدرسة أو العودة ولا يهدأ لها بال إلا أثناء عودتي إلى المنزل.

ضحايا

● ولأم نائف الجعفري قصة أخرى عندما كانت مستعجلة وتحاول الوصول إلى أولادها الذين قضت ليلتها بعيداً عنهم في منزل والدتها في قرية بعيدة عن منزل زوجها.. كان الخيار المتاح أمامها في الصباح هي سيارة "شاص" تقل بائعي القات المتجهين لبيع القات في مدينة تعز، حيث تمر الطريق على منطقة الدعيسة تعزية.. لم تتردد في الصعود إليها رافضة الإصغاء إلى إلحاح اخوانها في الانتظار للحظات حتى يتمكنوا من استئجار سيارة خاصة وقبل أن تصل إلى أولادها بمسافة بسيطة كانت على موعد مع حادث مروري باصطدام السيارة التي كانت على متنها مع سيارة أخرى.

الحادث تسبب في كسر بإحدى رجليها وحينها لم تصل إلى المنزل كما كانت تخطط.. لكنها نقلت إلى المستشفى ولم تعد إلى المنزل الا مساء ذلك اليوم محمولة على السرير لتمضي عدة أشهر مقعدة في وضع يقدم نموذجاً يدحض اعتقاداً يساور كثيرين ازاء دافع الاستعجال ورغبة الوصول السريع إلى المنزل دون التفكير في الوسيلة المناسبة والآمنة لهذا الوصول الذي قد لا يتحقق.

أم نايف تتذكر حالة غباء سيطرت عليها لحظات إيقاف تلك السيارة رافضة عرضاً قدمه لها اخوانها.

الفاجعة

● رائد عبدالقوي فقد والده في السنوات الأولى لنشأته وحين كان يحلم بالهدايا وينسج الأمنيات بانتظار عودة والده من العمل في إحدى الشركات بمحافظة عدن حيث عوده والده بأن لا يغيب طويلاً والهدايا والملابس الجديدة مع كل عودة في إجازة قصيرة من العمل، لكنه هذه المرة عاد مخلفاً له اليتم والحزن.

فقد عاد مساء ليل حزين مع أصوات القارئ الذي بث مشاعر الفاجعة في نفوس أهل القرية -عاد والد رائد هذه المرة سريعاً في نفس اليوم الذي غادر فيه المنزل لأنه لم يصل إلى العمل فقد قطع ملك الموت الطريق أمام وصوله إلى موقع عمله إذ كان ملك الموت يركب إلى جواره في نفس السيارة الهيلوكس ينتهياً لقبض روحه.

يقول رائد -ببراءة- لقد أخذته تلك السيارة مني.

السائقون

● السائقون هم أيضاً في نهاية المطاف ضحايا لخطر هم أهم أدواته وعندما تعرضت سيارة السائق عبدالقوي سلطان عبدالله (شاص) للانقلاب في إحدى مناطق شرعب تسببت في وفاة اثنين اضطر بعدها لبيع جميع ممتلكاته لدفع الدية وقرر التخلي عن مهنة السواقة بتاتاً لكن شبح القتلى الذي يفزع منامه لا زال يطارده ليلاً.

● السيارات الهيلوكس تجوب شوارع وأحياء المدن، يزداد استخدام السيارات الهيلوكس لنقل الركاب من وإلى المدينة.. ولا يقتصر الأمر عند هذا ولكن أيضاً يتم استخدامها لنقل الحالات الاسعافية كحالات الولادة أو أي حالة مرضية تستدعي الإسراع بنقلها إلى المدينة.

حينها لا يتم النظر بطبيعة الحال إلى وضعية المريض في البحث عن وسيلة نقل مناسبة.. وعادة عند أطراف المدن تنتشر الفرزات التي تتواجد فيها هذه السيارات لنقل العائدين من المدنية إلى القرية والعكس.

وفي الأطراف الشمالية من مدينة تعز -على سبيل المثال- فقط في المنطقة المعروفة بمفرق شرعب.. لا يجد الركاب وسيلة مواصلات سوى السيارات الهيلوكس أو الشاص ليتدافع القادمون من المدينة نحوها.

عبده بن عبده المدرس في مدرسة الفتح بالدعيسة كل يوم على موعد لحجز موطئ قدم في احداها للوصول إلى المدرسة مع جموع الركاب الذين يكتظون بشكل عجيب -يقول: نحن مضطرون لذلك وليس أمامنا خيار آخر حيث تعد هذه السيارات الوسيلة الوحيدة للنقل. فنكتظ فيها مع الأمتعة والأغراض التي يعود بها الأشخاص من المدينة.

والمؤسف أنه على الرغم من تعبيد الطريق خلال العامين الماضيين إلا أنه مع ذلك لم تتغير وسيلة النقل، كما أن الناس هنا يعتمدون عليها حتى في نقل المرضى بعضهم حالتهم حرجة، وتتطلب توفير وسيلة أفضل ولكن لا شيء من ذلك يحدث..

يضيف: الحوادث مسألة ورادة الحدوث والمخاطر تزداد مع الأمتعة التي تحملها السيارات، أتمنى أن يختفي الاعتماد على هذه السيارات ويتوفر البديل المناسب.

حجم الخطورة

● الخطورة الناجمة عن استخدام المركبات المكشوفة أمر لا يقبل التشكيك والمعنيون في وزارة النقل وإدارة المرور يؤكدون على هذه المخاطر مع سيارات تفتقد لأبسط شروط وقواعد السلامة.. مدير عام مكتب وزارة النقل بمحافظة صنعاء يؤكد حقيقة هذه المخاطر في أمر يستدعي الاسراع بإيقاف هذا الخطر وقال: إن مسألة الحفاظ على أرواح الناس وسلامتهم تتطلب ذلك على نحو سريع ويعتقد أن حجم المخاطر فظيعة في هذا النوع من المركبات لافتقادها لأبسط شروط وقواعد السلامة.

لكن التساؤل الذي يطرحه أحمد بن أحمد سائق باص في أمانة العاصمة عن أسباب غياب التحرك الجاد من قبل الجهات المعنية في هذا الشأن نستشف إجابته من حديث طويل لمدير عام النقل بمحافظة صنعاء الذي أوضح بأنه لم يكن هناك في السابق قانون ينظم هذه العملية ويمنع هذه السيارات من ارتكاب المخالفات في نقل الركاب حيث ان القانون لا يزال حديثاً وتم اقراره (القانون رقم٣٣) من قبل مجلس النواب في ٢٠٠٣م وأن الترتيبات جارية لتنفيذ خطواته ويعتبر هذه الظاهرة إلى جانب أنها خطرة بأنها أيضاً غير حضارية.

دور الجهات المعنية

● المشكلة تستدعي سرعة تحرك الجهات المعنية لايقاف نزيف خطير يتهدد حياة الكثيرين وبموجب القرار الجمهوري رقم (١) لسنة ١٩٩٠م فإن وزارة النقل هي الجهة المنظمة لعملية النقل جواً وبراً وبحراً.

● علي سعيد عبدالله الحاج -مدير عام مكتب وزارة النقل بمحافظة صنعاء- يقول:

-أن الوزارة وجميع مكاتبها في المحافظات بصدد تنفيذ لائحة وقانون النقل البري والتي تتضمن العديد من الإجراءات تتعلق بعملية تنظيم نقل الركاب والبضائع من وإلى المحافظات بموجب أنظمة وشروط وقوانين تشترط ان تكون وسائل النقل حديثة ومؤمنة.

وبحيث لا يزيد عمرها عن ثلاث سنوات من تاريخ الصنع وتقديم تأمين شامل لوسيلة النقل والسائق على كل وسيلة وفتح المجال للحافلات السياحية لتخفيف زحمة السير.

ويضيف الحاج: وبالتالي فإنه وفقاً لهذه الإجراءات سوف يتم منع استخدام سيارات النقل لنقل الركاب.

ويتوقع صدور قرار من الوزارة في غضون الأيام القليلة القادمة يقضي بمنع هذه المركبات من نقل الركاب وأن المكتب سوف يتقدم بمقترح للوزارة يهيب باستعجال صدور هذا القرار ويشير إلى أنه سوف يجرى التنسيق مع إدارة المرور لايقاف هذه الظاهرة.

وحول كل ما يتعلق بقانون النقل البري باعتبار المسئولية مشتركة ما بين وزارة النقل والجهات الأمنية.

وقال مدير عام مكتب وزارة النقل بمحافظة صنعاء أن المكتب يبذل جهوداً مضنية من أجل تنفيذ قرار مجلس الوزراء المتضمن للعديد من الإجراءات والتي منها مراقبة العديد من النقاط الأمنية للحد من كثرة الحوادث والمخاطر والحفاظ على أمن وسلامة المواطنين وبموجب تعميم الأخ وزير النقل سوف يقوم المكتب بحملة عبر المنافذ لإلزام الجهات العاملة والمكاتب بتنفيذ وتطبيق قانون النقل البري ولائحته التنفيذية ويشير إلى أن الوزارة بصدد إصدار قانون المواد الخطرة في الوقت القريب ويلفت إلى أنه وبناءً على قرار النقل البري الذي يشترط الوسائل الآمنة والمركبات الحديثة في عملية النقل سوف يتم منع السيارات المكشوفة الشائعة الاستخدام من نقل الركاب وسيعمل المكتب من خلال تواجده في العديد من المنافذ والنقاط على رصد المخالفين بما من شأنه ايقاف هذا الخطر.

■ الركوب على سيارات النقل مخاطرة غير محمودة ولحظات الندم تأتي متأخرة

أشواق الأحد

حزام الأمان..!!

□ .. قبل أن نتحدث عن (حزام الأمان) الذي يحمي المواطن من حوادث السير أود اليوم أن أتحدث عن (حزام الأمان) الذي يحمي الوطن من التدخل الأجنبي .. والحزام الأخير هو الأهم والأكثر إلحاحا لأن مصير الوطن يعجل لأن مصير الوطن يعجل بمصير المواطن .. فما هو هذا الحزام المأمون؟؟ إنه (الوحدة الوطنية) ولا شيء غير الوحدة الوطنية.

● فكرت في هذا الأمر قبل أن ينتهي الاخ الرئيس من خطابه وقلت لصاحبي إذا كنا - نحن اليمنيين- لم ننجح في استعمال (حزام الأمان) الأول ، فكيف لنا أن ننجح في استعمال (الحزام الثاني) وهو الأصعب؟؟ فقال: السبب في عدم نجاحنا هو غياب القانون .. فلو كانت هناك غرامات صارمة على الصغير والكبير لما تخلى أي سائق عن (حزام الأمان) ، وكذلك الحال بالنسبة للحزام الأهم فلو وضعنا خطا أحمر يحمي وحدتنا الوطنية من أي تجاوز لأصبحنا جميعا في أمان.

● إنني هنا لا أقلل من مسؤولية (النخب) السياسية والثقافية ، والدعوية في تجسيد القدرة الحسنة بتعميق الولاء الوطني ونبذ الولاءات الضيقة ولكن المسؤولية الكبرى تقع على (أولي الأمر) الذين فوضهم الشعب في تدبير شؤونه ، وتصحيح أوضاعه ، وتحصين حدوده.. وقد قالها معلمنا المصطفى عليه الصلاة والسلام قبل أربعة عشر قرنا: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .. وجمعة مباركة.

ص. ب: ٤٨٤١ صنعاء
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

الانطلاق للمستقبل!

● يدرس حاليا في الجامعات الغربية وبعض دول شرق آسيا ما يعرف بعلم المستقبليات ....فالعالم أصبح ينظر للمستقبل باهتمام وأطلق العلماء والمفكرون خيالاتهم لوضع تصور لأسلوب الحياة التي سيعيشها الإنسان في المستقبل.

ويتسابق العلماء وخاصة في مجالات الاتصالات المعلوماتية وتكنولوجيا الكمبيوتر على تقديم أفكار لاختراعات قادمة في وسائل النقل، والتواصل ، والطب، وبدائل الطاقة..الخ تنتقل بحياة الإنسان إلى تطور يصعب بعض الأحيان تصديقها..

● العرب لا يزالوا مشدودين بأمراض الماضي التي تتفاعل حتى اليوم ومنشغلين بخلافات فكرية أو دينية ابتدعوها وروجوا لها وتطرفوا نحو الهاوية من أجلها.. وكلها لا تخدم الإنسان لا في الدنيا ولا في الآخرة.. وكل ما في الأمر مضيعة للوقت .. وهدر الجهد..

● الانشغال بخلافات الماضي وجرها إلى حاضرنا تسبب نزيف لامكانياتنا الذهنية والمادية كعرب أننا نعيش الحاضر الذي يتميز بمعطياته وتحدياته والمطلوب منا إثبات مقدرتنا على التعامل مع هذه المعطيات ونقف أمام كل التحديات والصعوبات .. بالتسابق على تقديم أفضل الأعمال في أي مجال كان.

● فكل شخص منا يمكن أن يكون قائد نفسه يديرها بكفاءة حتى وأن كان دون عمل يذكر حتى وان كان يسير بالشارع.. فاختياره للطريق المسموح له بالسير دون ارباك من حوله يعد عملاً نافعاً وخطوة في طريق ترسيخ قاعدة النظام العام.

● وعندما نتطلع للنهوض الاقتصادي علينا أن ندرك أن تحديات هذا النهوض يبدأ باصلاح سلوكنا وممارستنا من منازلنا.. بالتدبير المعيشي .. باحترام قيم العمل والإنتاج.

● ويتحمل كبار القوم المسؤولية العظيمة في تنمية القيم البناءة.. فلا يعقل أن يحاصر الإنسان نفسه بالمثالية في قيادته الذاتية.. ويرى العجيب العجاب إذا ماطل برأسه على الشارع من تصرفات لمن يفترض منهم تجسيد مفاهيم النظام.. أو يصطدم بتصرفات وسلوكيات استهتارية أنانية ممن يحملون أمانة المسؤولية تحت مظلة تطبيق النظام والقانون..

lariky@maktoob.com